

## لميس سعيدي: الحياة فيلم صامت بالألوان

تتماهى الحياة مع الفن السابع في شعرها بنحو يستدعي الكثير من التأمل في ديوان «إلى السينما» (منشورات الاختلاف). روح صوفية بكائية تنضح بها المجموعة الجديدة

### سفير قسيمي

الجواب واحداً وواحداً فقط: السينما. هنا يقف القارئ عند قدرة النص على أن يقول ما لا تقوله الكلمات في ظاهرها. إنه حديث عن السينما ولكنه في الحقيقة كلام عن الحياة، عن البداية التي تبدو مشوقة دوماً، كثيرة الألوان. وعن النهاية التي مهما كانت، ليست إلا شعوراً مقيتاً عن الأسف. شعور بلا ألوان. أحياناً تبدو الحياة كـ«فيلم صامت بالألوان». تبدو فيلماً متميزاً، لكنه في الحقيقة مجرد فيلم بائس أصابه «خلل تقني قديم لم يتمكن أحد من إصلاحه». عادة ما يكون فيه الأفيش «قبر شاهد بتاريخ واحد»، تاريخ الميلاد أو الموت. في هذه الحياة، في مثل هذا الموت، تصف لميس «الأحياء الممثلين» كأشخاص لا يقين لديهم، إلا يقين الوجود في كون لم يختر وجوده فيه ولكنه مجبر عليه، على الأقل يساوره الاعتقاد أن ثمة دوماً حيزاً ليقول ما يجب أن يقوله حين يتوقف «الحوار» أو حين يقطع الصمت حوار الممثلين «ليوشوش كما يشاء ما نقص من الحوار».

تستمر لميس عبر أكثر من مئة صفحة في مطابقتها الجميلة، المفزعة والجريئة أيضاً، غير أبهة لتأويل محاكم التفتيش حين

تتماهى الحياة مع السينما في شعر الجزائرية لميس سعيدي بنحو يستدعي الكثير من التأمل في مجموعة «إلى السينما» الصادرة أخيراً عن «منشورات الاختلاف» الجزائرية. تماهى وإن بدا أنه مستهلك من حيث تناول التعبير، إلا أنه يحمل قدراً هائلاً من التجديد النصي، ويظهر واضحاً من تجويد وعناوين القصائد التي ارتأت لميس سعيدي أن تستخرجها من القاموس السينمائي المعتاد، والذي اشتغلت عليه فلسفياً بنحو أضيف على المتن روحاً تكاد تكون صوفية بكائية.

كتبت المجموعة وفق نظام الثنائية «السينما - الحياة»، بحيث ما هت لميس سعيدي بذكاء بين تفاصيل السينما ومكونات الحياة، تفصيلاً بتفصيلاً ومكونة بمكونة. في تناولها لـ«الغاية» من «السينما - الحياة»، صاغت الشاعرة حوارية جميلة شكلت ما قد نعتبره تمهيداً للمجموعة ككل. تتساءل لميس عن وجهة الناظمين والحايلين والنادمين والعاشقين والمذنبين والتائبين والتعساء والواهمين والمؤمنين والمحاربين والخائفين، ليكون

### رواية

## نافذ أبو حسنة: هنا سلام... هنا بيروت

تمارس «عسل المرأيا» (منشورات ضفاف) لعبة المكان وإعادة صياغة المدن. والمقصود هنا بيروت التي تمكنت ناسجها الفلسطيني مجدداً بعد محمود درويش. هنا تقديم شاطئها. ومقاهي روستها. وشارع الحمرا. ونهاراتها ولياليها

### أيهم السهلي

بينما تدخل عوالم رواية ما، تنجدك أحياناً سعة الأفق في معرفة حيثيات مكان أو زمان الرواية في الواقع، فتصبح على مقربة من النص، والغوص في عوالمه يكاد يكون بمثابة الوثب داخل نبع عذب، إلا إذا خذلك الكاتب الذي لم يقتل نفسه في نصه، فوجدت المكان كما تعرفه لا كما أرادته إحدى الشخصيات أن يكون، ليوهمك في لحظة معينة من صفحات الرواية أن مكان الشخصية هو المكان الذي تعرفه ذاته.

«عسل المرأيا» (منشورات ضفاف) رواية الكاتب الفلسطيني نافذ أبو حسنة، تمارس لعبة المكان بمهارة العارف الضليع بجعل اللغة متمرسية في إعادة صياغة المدن، والمقصود هنا بيروت التي تمكنت ناسجها الفلسطيني مجدداً بعد محمود درويش، من تقديم شاطئها، ومقاهي روستها، وشارع الحمرا، ونهاراتها ولياليها برؤية الفلسطيني الخاصة لهذه المدينة. بذلك، ستكون ذاكرة ليست للنسيان، وانعكاساً جلياً لأحداثها السياسية المفصلية، كحرب تموز



### خطوة كبيرة جداً في مدونة الشعر الحدائي في الجزائر

ومنه إلى إيمان واضح بالدور الذي تلعبه المشيئة في تكريس العبثية كمبدأ لأي حركة في الوجود، فمثلما ينتهي عمل «الكومبارس» إلى دور سرعان ما يلفه الصمت، وينتهي طموح «الدوبلير» عند أي «نقطة معلقة»، فحتى البطل، صاحب الدور الرئيسي ينتهي إلى مجرد انعكاس «يقف خلف المرأة يقلد من يقفون أمامها». «إلى السينما» مجموعة لا تعبر عن بداية تجربة لشاعرة شابة، بقدر ما هي خطوة كبيرة جداً في مدونة الشعر الحدائي في الجزائر. تمكنت لميس سعيدي من خلاله أن ترسو على شطآن جديدة، ربما شبيهة لغيرها في التضاريس ولكنها مختلفة كل الاختلاف. إنه نص برعت فيه في أكثر من محل، يكفي فقط ذلك التناجي الرائع بينها وبين الله أو من أحببت أن تسميه «المخرج» وفق نظام الثنائيات الذي سنته في هذه المجموعة: «أيها المخرج المحترف/ صاحب ملايين الأفلام الناجحة

التي لم يشاهدها أحد/ تلك التي لا يمل الممثلون/ من تكرار مشاهدتها القديمة/ أعد قراءة السيناريو مرة أخرى/ في هذا الجزء من الفيلم/ تتطور الأحداث كثيراً/ تتغير لغة الحوار/ إلى لغة أجنبية/ لم تسمح لهم يوماً بتعلمها/ سيكولوجية المرحلة الجديدة/ تحتاج إلى الكثير من المكياج/ وبشرتها لم تزال كما عرفتها أول مرة/ حساسة جداً/ أيها المخرج المحترف/ حان موعد مغادرة السلاتو/ للمرة الأولى/ سيرتجل الممثلون المشهد/ بحرفية عالية»

باب «لو»: «لو أعاد ترتيبهم. لو حفظ استقاماتهم وانحناءاتهم بجميع حركاتهم بما في ذلك الساكنة سيتمكن من القراءة». لكنه سرعان ما يدرك عكس ذلك تماماً: «وحيداً خارج السطور/ اكتشف أنه مثلهم/ مجرد نقطة حبر مبهمه/ بالطريقة التقليدية ذاتها/ تتسع حتى تصبح مجموعة من المعاني المثيرة/ ثم تضيق كعلامة زائدة.. حرف منذ البداية في نقطة ماء/ وقعت على السيناريو/ لكي لا يقرؤه أحد».

يتعدى السؤال الجدلي عن جدوى الوجود لدى لميس سعيدي دائرة الشك إلى يقين الوجود العبثي،

تكتب عن «السيناريو-القدر» بقلم المشكك في أي يقين. تقول: «كالعادة لن يأتي أحد/ لكنه أصر على استدعاء الجميع/ الأحياء/ الموتى/ المفقودين/ حتى التماثيل والصور القديمة / والفراغات».

نص يعبر عن عبثية «النص-القدر». وصف صادق لرغبة المشيئة في إظهار السطوة، رغم أن لا أحد من المعنيين يعرف تلك الأبجدية المعقدة، لكن الإنسان كما تقول الشاعرة منحاز بفكره البريء البدائي الساذج إلى الاعتقاد أن لا قسوة ولا عبثية في القدر، فقرأه كلما أعجزه فهم المشيئة، يلقي على نفسه لوم عدم فهمها ويتوقف عند

### انعكاس للأحداث السياسية المفصلية في المدينة والمنطقة

في المقلب ذاته، يستشهد أبو عمار، وترسم بشكل واضح المواقف منه بتوصيفه «أبو الوطنية الفلسطينية» رغم أن عبد الرحمن كان على خلاف تاريخي مع والده حول هذا القائد الذي كثيراً ما اختلف معه ولم يوافق في سلوكه السياسي.

أما عن لبنان، فيكتفي الكاتب بشخصية سناء التي تجلى من خلالها التحول من شخصية غارقة في مرابها والعالم الخاص بها إلى شخصية «محببة» بفعل التغيرات الطائفية السياسية بعد عدوان تموز، وما حصل في بيروت في أيار (مايو) 2008.

نص نافذ أبو حسنة تمكن من تجاوز عقبات عدة. لقد تمكن من ترميز الشخصيات، لتقديم مقولة في الواقع الراهن، قد لا يسعف الواقع بتقديمها. وما يحسب للنص أن تقطيعه من ناحية السرد والمشهدية، يبدو كأنه جاهز لتحويله إلى فيلم. رواية «عسل المرأيا» تشع بالاعتزاز والانتماء في أن معاً، فالنص يحاول قول كل شيء، كأن كل شيء بات منتهياً، ليبدو العشق بين عبد الرحمن وسلام، قصة أخرى. ختام الرواية الموقعة بتاريخ 2013/1/1 عندما دعت سلام إلى الغداء في مقهى بحري، وأعلمته أنها راحلة من حياته، يذكر فوراً بعبارة قالها الروائي في الصفحة 61 «غريب هذا التشابه بين المدن والنساء. تعطي النساء للمدن جانباً أساسياً من هويتها وشكلها... هنا سلام.. هنا بيروت».

والسياسة، فضرار سلمان مثلاً ظهر في الصفحات الأولى وكان ممهداً لظهور سلام في السرد، وليقدم موقف البعض في تلك المرحلة ممن وافقوا على تغيير نظام صدام حسين، من على ظهر الدبابات الأميركية. في المقلب الفلسطيني، هناك الشبابي صديق عبد الرحمن التاريخي، ويظهر عبره تحول بعض اليساريين إلى واقع لا يشبه ما كانوا ينادون به. من خلاله تبدو الحالة الفلسطينية في غزة تحديداً إبان الانقسام، ليذهب أخيراً الشبابي المناضل السابق إلى محطة أخيرة في الترويج.

الحكاية ومن خلالها. تكمن الحكبة في ذروة السرد الروائي الذي طال أحياناً، لكن من دون الخروج عن حالة الهدوء الضجر في بعض المواضع، ليكون في صفحات أخرى هدوء يتوق إلى السفر نحو أبعد لحظات الانطلاق في اللغة المترفعة عن التكلف والعجرفة في تركيب الجمل ونحت الألفاظ، لتصبح «عسل المرأيا» في آخر المطاف رواية مكتوبة بتقنية واعية، كالذي يكتب وهو يرى الواقع كما هو بحاله وقبحه.

عمل الكاتب على أكثر من مسار. الحكبة جاءت عبر خيط خفي من شخصيات قدمت مواقف في الحياة